كتاب العدد

التعليم والحرية
قراءات في المشهد التربوي المعاصر

تأليف: أ. د. شبل بدران

تقديم: أ. د. حامد عمار

الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2011

عدد الصفحات: (260)

عرض ومراجعة: أ. د. محسن خضر

أستاذ ورئيس قسم أصول التربية بكلية التربية - جامعة عين شمس

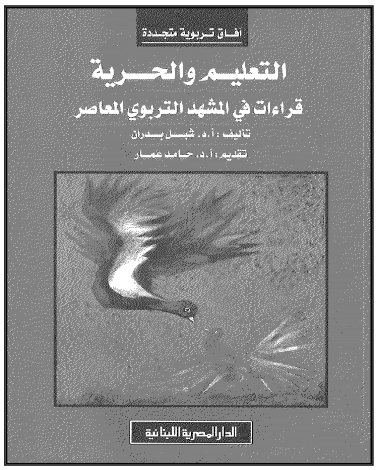

كان مفهوم الحرية والعدالة القاسم المشترك للمشاريع الفلسفية على مر التاريخ، وبالأخص في المشاريع الفلسفية والتنويرية العربية أن تولستوي يعتبر «الحرية شرطٌ لكل تعليم حقيقي» كما نادى جاك روسو، وطه حسين اعتبر «التعليم كالماء والهواء»، وهو ما لا يختلف كثيراً عن مشاريع الكواكبي، والشيخ محمد عبده، وقاسم أمين، وخير الدين التونسي، وليس وصولاً إلى حامد عمار، ومحمد عابد الجابري مثلاً.

ولا يختلف هم كتاب د. شبل بدران «التعليم والحرية» عن هم غيره من أصحاب الاتجاه النقدي في المشهد التربوي المصري والعربي المعاصر، فالمؤلف الأخير لشيخنا حامد عمار «تعليم المستقبل من التسلط إلى التحرر» يقاربه في الهم مؤلف كاتب هذه السطور «تربية القهر: تربية الحرية» والمؤلف ينتمي إلى التيار النقدي التربوي المصري، والذي يُعد حامد عمار رائده، ونبيل نوفل، ومحمود قمبر، وعبد الفتاح تركي في جيل تالٍ، ويضم بالإضافة إلى شبل بدران، وعبد السميع سيد أحمد، وكمال نجيب، وحسن البيلاوي، وطلعت عبد الحميد، وعصام هلال، وعبد اللطيف محمود في جيل ثالث، وهو اتجاه راديكالي التوجه ينحاز إلى إحداث تغييرات جذرية عميقة ذات طابع جماهيري وتحرري وتنويري في جسد التعليم العربي، كما يهتم بالكشف عن أوجه التناقض والظلم الاجتماعي والتشوه وعلاقات التبعية في جذور البنية التعليمية، ولا يجد حرجاً في مناقشة المسكوت عنه في الثقافة المجتمعة.

ويصف حامد عمار في مقدمة الكتاب بأنه «يمثل ذخيرة من الفكر والخبرة والتدبر في فهم توجهات التغيير المنشودة لنظمنا المجتمعية والتعليمية، بحيث تتلاءم المدخلات والعمليات والنواتج مع أهدافنا القومية».

فجوة العنوان والمضمون:

ثمة خلل في التناغم ما بين عنوان الكتاب ومضمونه، فالعنوان الفرعي قراءات في المشهد التربوي المعاصر هو الأكثر انطباقاً على مضمون الكتاب، في حين يحمل فصلاً واحداً من فصول الكتاب عنوان الكتاب الصريح، وهو الفصل الرابع: التعليم والحرية، وهو ما يستوجب الإشارة إلى فصول الكتاب. يتناول الفصل الأول: التعليم والبنية الاجتماعية، والذي يمثل الأرضية الفلسفية التي ينطلق منها الكاتب في تحليله حول علاقة التعليم بالمجتمع والطرح الاجتماعي والسياسي، في حين يعنون الفصل الثاني بـ: التعليم وتحديات المستقبل، أما الفصل الثالث فينا قش علاقة (التعليم الجامعي وثقافة الذاكرة)، وجاء عنوان الفصل الرابع (التعليم والحرية)، وهو تحليل لفلسفة المفكر التربوي البرازيلي الراحل باولو فريري، في حين اختص الفصل الخامس بمناقشة علاقة (النظام التعليمي والازدواج الثقافي)، في حين الفصل السادس يحلل مؤسسات إعداد وتكوين المعلم في مصر، في حين يناقش الفصل السابع والأخير تطور شهادة (الثانوية العامة من البكالوريا إلى التصفية الاجتماعية)، وربما تكون قيمة العدالة غائبة عن عنوان الكتاب؛ لأنه هَم يتحلل صفحات الكتاب بحيث يدافع المؤلف في صفحات كتابه عن تكافؤ الفرص التعليمية المرتبطة بالعدالة الاجتماعية دفاعاً مستميتاً، بالإضافة إلى تأكيد المستثمر على قيمة الحرية، والاثنتان ترتبطان بركيزة من أرضية أو قاعدة عقلانية تنويرية تسم الخطاب الفكري لشبل بدران.

وقد اتسم مؤلف الكتاب في ممارسته الحياتية بين ممارسة التدريس الأكاديمي، وتقلد مواقع المسؤولية التنفيذية (وكيل فعميد كلية التربية جامعة – الإسكندرية)، بالإضافة إلى تولي مسؤولية رابطة التربية الحديثة، وهي إحدى الجمعيات التربوية المهمة في مصر، وأتيح له من ناحية رابعة التدريس في عدة أقطار عربية مشرقية، مما شكل بنية من التنظير والممارسة انعكست في مؤلفاته، وأين يقف التعليم من الصراع المجتمعي.

عتبات النص:

كل خطاب تربوي يدخل في حوار مع خطابات أخرى، تقاطعاً وتماهياً، ومن ثم فإن الاستشهادات التي تتصدر الكتاب وفصوله ذات مغزى في الإشارة إلى موقف مؤلفه الأيديولوجي.

ثمة استشهادات استهلالية لدانتي وباولو فريري والشاعر المصري الراحل صلاح عبد الصبور، تستند إلى عبارة دانتي الليجيري التحريضية «إن أشد الأماكن حرارة في جهنم محجوزة للذين يقفون على الحياد في أوقات الأزمات»، وهو ما يؤشر لموقف المفكر من قضايا مجتمعه التي لا تحتمل رفاهية الحياد، بل إن الحياد - وفقاً لمقولة دانتي - موقف غير أخلاقي.

كما تتصدر فصول الكتاب استشهادات للمفكر التربوي البرازيلي الشهير باولو فريري، وحيث «الحقيقة الاجتماعية تصبح بالضرورة عملاً تاريخياً من صنع الرجال».

كما يقدم استشهادات للمعلوماتي الأمريكي القين توفلر مقتطفاً من كتابة «تحول السلطة» ويجيء فيه: «يتعين أن يحل كل نظام غنيّ بالاختيارات محل نظام يفتقر إلى حرية الاختيار».

وينسب إلى طه حسين في مقدمة فصل ثالث قوله: «لم يكن من الممكن أن تقوم الجامعة بدورها في تحرير العقل المصري إلا إذا كانت حرة في تفكيرها، وفي اختيار مناهج التعليم، وفي أخذ قراراتها بنفسها».

ويستشهد بمقولة الروائي السوداني الطيب صالح في «موسم الهجرة إلى الشمال» وليس «للشمال» كما جاء خطأً في الكتاب يقول فيها: «لقد فتحوا لنا المدارس لكي يعلمونا كيف نقول: نعم بلغتهم» في إشارة إلى الدور الترويضي للنظام التعليمي.

ويعود إلى باولو فريري مرة ومرات في مؤلفات متباينة التأريخ، كما يستشهد بمقولة الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني: «لا جامعة لقوم لا لسان لهم، ولا لسان لقوم لا آداب لهم، ولا عز لقوم لا تاريخ لهم، ولا تاريخ لقوم إذا لم يقم منهم أساطين كي تحمي آثار رجال تاريخها فتعمل عملهم، وتنسج على منوالهم»، وهذا كله يتوقف على تعليم وطني، بدايته «الوطن»، وواسطته «الوطن، وغايته الوطن».

إن هذه الإحالات الإشارية إشهار نقدي دال للاتجاه النقدي الذي ينطلق منه مؤلف الكتاب، وهو «تناصّ» يندرج في نص الكتاب، ويحيل إليه ويخصبه.

البعد الطبقي للتعليم:

يمارس المؤلف تفكيكاً للعديد من الدراسات والمقالات وأطروحات الماجستير والدكتوراه من أدبيات تناولت علاقة التعليم تنبيه العلامات الاجتماعية الطبقية، ومنطلقاً من لا حيادية التعليم بالضرورة، ومدى تعبيره عن الصراع المجتمعي حول مصادر النفوذ والسلطة.

ويحلل خمس مسائل في هذه الأدبيات:

1 – الدولة والتعليم في المجتمع الرأسمالي التابع.

2 – التعليم والتمايز الطبقي.

3 – التعليم وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية القائمة.

4 – التعليم والمساواة الاجتماعية والتعليمية.

5 – علاقة المساواة التعليمية بالمساواة التعليمية.

يلاحظ المؤلف أن الدولة تعمل على توليد العلاقات الاجتماعية التي تحدد مركز الطبقة الرأسمالية والجماعات والفئات الأخرى في المجتمع، والبناء الطبقي للمجتمعات الرأسمالية التابعة بعكس عدم المساواة التعليمية والاجتماعية.

يغلب على الأدبيات المحللة إدراك العلاقة بين التربية والتغير الاجتماعي من علاقة ذلك بنمط الإنتاج السائد ودور الدولة من خلال اتجاهين: الاتجاه التقليدي المثالي المبشر بدور التعليم في إحداث التغيرات الاجتماعية، والاتجاه الواقعي المنكر على التعليم هذا التأثير، ويسود بحوثنا التربوية المدرسة التقليدية والوظيفية نهجاً وفكراً، وتغفل عن فهم «الدولة، ويندد الباحث بالاعتماد على سيادة أداة الاستبانة في بحوثنا التربوية، والتي تزيف فهم الواقع».

وفي فهم علاقة التعليم بالتمايز الطبقي يؤكد على دور التعليم كمصعد اجتماعي، ومن ثم تتعدد الدراسات حول دور التعليم في الحراك الاجتماعي، إلا أنه يلاحظ أن قلة من الدراسات حاولت إبراز العلاقة - الجدلية بين التغيرات المجتمعية والتغيرات التربوية، ولم تحاول أغلب الدراسات فهم البعد الأيديولوجي في الموضوع.

ثمة دراسات قليلة استوعبت كون المدرسة في المجتمع الطبقي أداة في يد الطبقة المسيطرة في المجتمع، ومنتبهه إلى دور التعليم كجهاز أيديولوجي للدولة، إلا أن أغلب البحوث التقليدية بالأدوات البحثية الوصفية الكمية، ولم تقدم تحليلاً كيفياً لتلك الظاهرة.

ويلاحظ المؤلف أن الأدبيات المحللة لم تلتفت غالبيتها إلى علاقة التعليم بإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية القائمة، في حين انشغلت بالدور الذي يلعبه التعليم في الحراك الاجتماعي للفرد، ولم تنتبه إلى أن زيادة سنوات التمدرس تؤدي إلى البطالة بسبب اتباع سياسة تنموية تعتمد على العمالة غير الكثيفة، وتلجأ إلى التقنية بالإضافة إلى الدور الهزيل للقطاع الخاص والاستثماري في تشغيل المتعلمين الطبقية، ولم تتوصل أغلب الدراسات المحللة إلى تناقضات الواقع، ويعزى بسبب كبير إلى استخدام المناهج الأمبريقية التي أغلقت دور التعليم في تعزيز التفاوت الطبقي والتمايز الاجتماعي.

ويشير الكاتب مستفيداً من إسهامات بيير بورديو (فرنسا) وبولز وجينتس (الولايات المتحدة) إلى أن في مصلحة الرأسمالية تنميط بنية التعليم المدرسي وفقاً للعلاقات الاجتماعية في الإنتاج الرأسمالي، وأهملت الأدبيات المحللة كون التعليم يعتمد على تكريس الأوضاع الطبقية، وبالنسبة لمحوري المساواة فقد فض المؤلف ما غفلت عنه أغلب الأدبيات المحررة من إمكانية تحقيق العدالة والمساواة في غيبتها في المجتمع الكبير، وقامت هذه الدراسات بوصف الوضع القائم دون أن تقدم تفسيراً لغياب العدالة التعليمية، مفتقدة الرؤية النقدية التي ترى أن للتعليم دوراً سياسياً واجتماعياً مرتبطاً بالنظام السياسي القائم، وأن غياب العدالة والمساواة التعليمية مرتبط بغيابها في المجتمع الأكبر.

يصنف المؤلف أبرز الاتجاهات البحثية للأدبيات التربوية المحللة خلال نصف قرن في المجتمع المصري إلى ثلاثة اتجاهات:

أ- اتجاه تقليدي محافظ يرى قدرة التعليم على إحداث التغير الاجتماعي.

ب- اتجاه وظيفي (يشمل نظريات البنائية الوظيفية ورأس المال البشري، ونظرية التطور، وتحليل النظم) وهو اتجاه يسود أغلب الدراسات التربوية العربية لشكل برادايم واحداً تؤمن بدور التربية في التصنيف الاجتماعي وفقاً لقدرات الأفراد فتساعد على تحقيق المساواة الاجتماعية، كما تساعد على خلق مجتمع الجدارة والاستحقاق، وهو مجتمع طبقي مرن، كما أن التربية المدرسية أداة لإعداد الأيدي العاملة والماهرة اللازمة لسوق العمل، وهذه المهارات لازمة لتحقيق التنمية السياسية الاجتماعية، أو تؤسر لتحسين مستوى أداء الفرد ودخله الوظيفي.

ج- اتجاه راديكالي نقدي يرى أن التعليم غير قادر على إحداث التغير الاجتماعي بسبب عجزه عن تخطي القيود السلطوية والبيروقراطية من جانب، والجمود الاجتماعي من جانب آخر.

ومـع قلة الباحثين المنتمين للاتجاه الثالث، فإن صداه أحدث هزة في الثوابت القديمة في مجتمعنا، والتي سادت خلال نصف قرن.

يحسـن المؤلف توظيف نظرية بورديو حـول معاودة الإنتاج ورأس المـال الثقافي، وأن بروز اتجاهين حول اللا مساواة التعليمية، الأول يرى أن مشكلة التفاوت الاجتماعي مشكلة اجتماعيـة لا تعليميـة، والاتجاه الثاني يرى أن اللا مسـاواة الاجتماعية نتيجة لا مسـاواة تعليمية.

أي تعليم لأي مستقبل؟

يحدد المؤلف جملة التحولات العالمية المؤثرة في تشـكيل المسـتقبل، ومن ثَمَّ المؤثرة على التعليم المقدم في التحديات الآتية:

- الثورة العلمية والتقنية.
- تحدي المنافسة العالمية.
- ثورة المعرفة.
- الانفجار السكاني.
- تداعيات العولمة.

تبـدو هـذه التحديـات معلوماتيـة واتصالية وتقنيـة يغيب عنهـا التحديـات القطرية والإقليمية فـي منطقتنا، فالمؤلف أهمل تحديات التفكيك والتفسـخ القطري، وتحديات دول الجـوار، والتحـدي الأكبر الذي يمثلـه الكيان الصهيونـي، وهناك تعاظـم التدخل الأجنبي والتبعية في منطقتنا، بل إن شبح التقسيم والتجزئة داخل القطر دون الأقطار العربية ليس ببعيد، وهناك تحديات طبيعية كالصراع حول موارد المياه.

بل إن مستقبل النظام العربي نتيجة التهديدات السابقة يبدو في مهب الريح، ولم يلتفت الكتاب ـ لسبق صدوره ـ إلى المشهد بعد الحراك العربي الأخير.

يحدد المؤلف محاور صورة النظام التعليمي العربي في المسـتقبل في المحاور الرئيسـة الآتية:

أ- إعادة هيكلة النظام التعليمي.

ب- بناء مجتمع المتعلم.

ج- المناهج الدراسية المتكاملة البنية.

د- التغير في علاقة التعليم والعمل.

هـ- تنوع مصادر المعرفة.

و- تحديث الإدارة المدرسية وتطوير منظومة التقويم التربوي.

ز - تحقيق الجودة الشاملة.

ح - الاستثمار الأمثل للطفولة المبكرة.

ط - بناء مدرسة المستقبل.

ي - ثورة في المفاهيم وطرائق التعليم والعمل والأخذ بمنهج التعقد واللا خطية.

يبدو أن هذا الفصل أشبه بالوصفة الطبية للعلاج التي يضعها الطبيب للمريض، وإن لم تلتفت - مثلاً - إلى قضية الأمية وتعليم الكبار، وتمويل التعليم، وغلب على التناول النظرة الفنية الحرفية أكثر من الموقف الفلسفي للرؤى والتكامل.

من تعليم المقهورين إلى تعليم الأحرار:

لعل من أبرز فصول الكتاب الفصل الذي يحمل اسم عنوان الكتاب (التعليم والحرية)، وهو فصل ممتع وثري، يشرح فيه المؤلف نظرية المفكر التربوي البرازيلي الراحل باولو فريري (1921/1997)، وهو المفكر الذي ترك أثراً كبيراً في التفلسف التربوي، وبخاصة نظريته حول (تربية المقهورين)، والتي تحمل اسم أول وأشهر مؤلفاته، وكذلك تجربته في تعليم الكبار ومحو الأمية التي طبقتها جمعيات ومنظمات أهلية في مساحة واسعة من العالم.

درس فريري التربية والقانون، فجمع ما بين التدريس والمحاماة، ونال عام 1959 درجة الدكتوراه في التربية من جامعة ريسفي البرازيلية، قبل أن يعين مديراً ومنسقاً لمشروع محو أمية الكبار بالمدينة، وبدأ تطبيق حلقات الثقافة، كأسلوب لمحو أمية الكبار أبجدياً، وسياسات حققت شهرة واسعة ليكلف على أثرها إدارة المشروع القومي لمحو الأمية.

ويحكم ويسجن فريري بعد انقلاب 1964 بعد اتهامه التخريب والخيانة، ونُفي فريري إلى بوليفيا فتشيلي، ثم عمل في جامعة هارفارد بمجلس الكنائس العالي في جنيف وسافر إلى إفريقيا ليطبق طريقته في الإرشاد الزراعي وتعليم الكبار في غينيا بيساو، وقبل أن يعود في نهاية المطاف إلى البرازيل ليواصل التدريس في جامعة الدولة والجامعة الكاثوليكية في ساو باولو.

يحدد المؤلف مصادر فلسفة فريري في مصدر محلي (الحركة الفكرية الأكاديمية ولاهوت التحرر في الكنيسة الكاثوليكية)، ومصدر فلسفي غربي متمثلاً في استفادته من التراث الوجودي والظاهراتي الإنساني والماركسي والنقدي في مدرسة فرانكفورت، كما تأثر بأفكار فانون ومارتن لوثر كينيج.

كما استفاد فريري من فكر ما نهايهم وايتهيد وجون ديوي، وإسهام المحلل النفسي والفليسوف إيريك فروم صاحب «الهروب من الحرية»، و«تملك أو نكون» ويحدد المؤلف أسس فلسفة فريري في المحاور الآتية:

- التعليم ليس محايداً، إما أن يكون أداة للقهر أو التحرر.
- الثقة في قدرة الناس على التحرر والإبداع للتغيير.
- يرتبط التحرر من الأمية بوعي المتعلم بذاته وبقدراته.

- المنهج الجدلي هو الذي بإمكانه أن يعين التربية على معالجة المشكلات.
- كلية عملية لتعليم الكبار.

ثمة ركائز فلسفية ثلاث في فلسفة فريري: القهر والوعي والحرية، وهو يسم التعليم السائد في العالم الثالث بـ «تعليم المقهورين»، حيث تسود «ثقافة الصمت»، وفيه يتحول المتعلم إلى خازن للمعرفة التي يهبه المعلم إياها، ويهيمن «التعليم المصرفي» على التعليم الممارس.

ويلاحظ فريري أن المقهورين عندما يتحررون يصبحون قاهرين بدورهم، ويهتم فريري بعملية بناء الوعي التي يتعرف فيها المعلم والمتعلم على العالم معاً، ويغيره ويفرق فريري بين الوعي الحقيقي، والوعي الكامن.

ويحدد فريري مراحل لبناء الوعي النقدي: الوعي غير المتعدي الذي لا يتحدى العالم، ومرحلة «التعدي الساذج»، الذي يغلب عليه نوستالجيا الماضي والتبسيط الشديد للمعلومات، ثم مرحلة الوعي الناقد التي يتسم صاحبها بالقدرة على فهم تحليل المشكلات والاتصال بالجماهير على أنه أساس مهم للعمل الثقافي والتعليم من أجل الحرية.

أما الأساس الثالث لفلسفته بعد القهر والوعي فيأتي «الحوار الذي يعني القدرة على تغيير الواقع»، والكلمة جوهر الحوار التي تعني التأمل والفعل، وتتسم بالصدق وتغير العالم، ويكون للحوار الحقيقي الدور الأساسي في معرفة الواقع وتغييره، وترك ثقافة الصمت.

ويستطرد المؤلف في شرح التعليم الحواري المقابل للتعليم البنكي المصرفي أو التلقيني، وفي الأخير يكون مركز التعليم هو المتعلم لا التلميذ، حيث المعلم يعلم ويعرف ويفكر ويتكلم ويختار ويفعل.

أما التعليم الحواري فهو تعليم من أجل الحرية، يقوم على حل المشكلات، وتطوير قدرات المتعلمين، والدخول في حوار مع الطالب يستفيد منه الطرفان، ومن شروط نجاح التعليم: الحب وتحليل الواقع بأبعاده الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ثم يأتي عنصر نقل الخبرات بين الأفراد، ويشرح الكتاب بالتفصيل خطوات الحوار في محو أمية الكبار عن فريري، ويتم التعليم باستخدام الكلمات التوليدية (14 كلمة سائدة في بيئة المتعلم)، ثم يتم عرض هذه الكلمات مع صور فوتوغرافية يدور حولها الحوار، مع ربط هذه الكلمات بمشكلات اجتماعية يعيشها الأمي.

ويحدد المؤلف عشرة أدوار ومسؤوليات للمعلم في التعليم الحواري، وحيث يتعلم المعلم إلى مرشد، ومنسق ومسهل.

ويحدد المؤلف خمسة ملامح رئيسية لفلسفة فريري: الحوار، الممارسة، تسمية العالم، الخبرة، والكلمات التوليدية.

ويدعو المؤلف إلى استخدام طريقة فريري في التدريس في مدارسنا العربية، أي التعليم الحواري ليحاصر التعليم التلقيني أو المصرفي السائد في مدارسنا العربية.

وينبه الكتاب إلى أهمية توافر عدة شروط لنجاح تربية الحوار في عناصر: الحب، والتواضع، والمساواة، والصبر.

إن تسييد طريقة فريري الحوارية من شأنها أنها الثلاثية البغيضة الشائعة في تعليمنا، وهي الحفظ والتلقين والاسترجاع أو التذكر، وهي ثلاثية تقتل روح التعليم لدى الطالب.

يحاول شبل بدران استلهام فلسفة باولو فريري في نظمنا التعليمية العربية بتجنب السلبيات السابقة من تعالٍ ونفاذ الصبر واللا مساواة واللا حوار، فيدعو إلى توسيع مساحة الحوار بين المعلم والمتعلمين، والسماح للمتعلم بالتعبير عن رأيه بتبني أسلوب طرح المشكلات، وإشعار المتعلم بالمسؤولية، وتشجيع نقد التلاميذ لأنفسهم وآراء زملائهم، مما يخلق التفكير الناقد لدى التلميذ.

تداعيات الازدواج الثقافي في تعليمنا:

ينبه المؤلف إلى خطورة الازدواجيات الثقافية الذي تعاني منه نظم التعليم العربي، ويحدد هذه الازدواجيات في الأنماط الآتية:

1. ازدواجية نمط التعليم السائد ما بين ثقافة مدنية حديثة وثقافة دينية تقليدية، وثقافة مدارس الطوائف غير الإسلامية، وقد ارتبطت هذه الأنواع بالوضع الاجتماعي الطبقي لدى الطلاب تدريجياً.
2. الازدواجية الثانية: المدارس الرسمية الحكومية في المرحلة الابتدائية إحداها تؤدي إلى التعليم الثانوي، والأخرى تؤدي إلى العمل الحكومي المتواضع، بالإضافة إلى التعليم في الكتاتيب والأزهر خلقت هذه الازدواجية في التعليم والثقافة بنيات ثقافية وتعليمية موازية للبنية الاجتماعية. وصل الصدام بين خريجي الأنواع المختلفة في ساحة العمل السياسي والثقافي إلى أن نجح طه حسين في مواجهة الازدواجية الموجودة في التعليم الابتدائي، لتظل الازدواجية قائمة في مرحلة الاستقلال الوطني ما بين التعليم الرسمي والأزهري.
3. الازدواجية الثالثة: ونشأت منذ عقد السبعينيات من القرن الماضي استفحلت الازدواجية متمثلة في توازي عدة أنواع من التعليم، حكومي رسمي وتعليم خاص، ومدارس اللغات، وتعليم أجنبي، مما انعكس على النسيج الثقافي الوطني، وخاصة أن الهوية الثقافية لم تشغل صانع القرار، ووصلت هذه الازدواجية في عقد التسعينيات في التعليم الجامعي، وظهرت في مصر جامعات فرنسية وإنجليزية وألمانية ويابانية، بالإضافة إلى الجامعة الأمريكية الأقدم، وبالإضافة إلى الجامعات الخاصة الوطنية أصبحت جميعها تستحوذ على 40 % من الطلاب (27 جامعة أجنبية وخاصة مقابل 17 جامعة حكومية خلال 14 سنة) وجميعها استندت إلى القدرة المالية للشرائح الاجتماعية الجديدة، حيث سعت كل شريحة أو فئة اجتماعية لإيجاد قنوات تعليمية خاصة.

ويحذر المؤلف من تهديد تلك الثنائيات للنسيج الثقافي الوطني، حيث تكرس ثقافة النخبة في مواجهة الثقافة الوطنية والقومية بدلاً من بلورته في ثقافة واحدة أي: الوحدة

فـي إطار التنوع، ولا يـؤدي توحيد المناهج إلى هذه الغاية لاختـلاف البيئة الثقافية في كل نوع تعليمـي، ووجود المناهج الخفية، وأنماط التفاعل الاجتماعي والثقافي التي تؤدي إلى تشكل المعتقدات والقيم والأفكار، والقيم والسلوك.

ويختم المؤلف كتابه بالتحذير من أن انتشار التعليم الأجنبي يهدد ويفتت كيان الوطن.

وبعد..

يمثـل هذا الكتاب القيم لأسـتاذ أصول التربية المعروف د. شـبل بـدران نموذجاً لانفتاح الباحـث الأكاديمي على الفضاء الاجتماعي حوله ليمارس عملية التأمل والتفكيك والتركيب فـي المتغيـرات والظواهـر المتنامية حولـه، وبخاصـة إذا كان صاحبهـا منحـازاً ومهموماً ومنطلقـاً من عقيدة فكريـة خاصة، كما يمثل انحيازه إلى قيم العدل والحرية - والاسـتقلال الواضح وحدة فكرية تسم هذا العمل، وإن كنا أغفلنا تناول فصلين ذَوَي سمة محلية، وهما: تقييم مؤسسـات إعداد وتكون المعلم في مصر، والثاني عن دور شـهادة الثانوية العامة في التصفية الاجتماعية رداً على مشروع لتطوير تلك الشهادة قدمه وزير تعليم أسبق لتحجيم أعداد الملتحقين بالجامعة، وخاصة من أبناء الشرائح الاجتماعية الأدنى.

تنـاول المؤلـف قضاياه بلغة علميـة غير زاعقة، وهو ما كان يسـم معالجـات أخرى في مرحلة سابقة لبعض أبناء جيله.

صحيح أن عنوان الكتاب الرئيس لا يعبر بالدقة عن محتواه، حيث لم تحظ تربية الحرية بالتركيـز المباشـر في الكتاب، إلا أنها تشـع مع ذلك من بين سـطوره وهمومه، وبخاصة أن الكتاب يمثل إسـهام أحد رمـوز التيار النقدي العربي، والذي يمتد من علي وطفة (سـوريا) إلـى مصطفى محسـن (المغـرب) ويمثل نموذجـاً علمياً لاشـتباك المفكر التربـوي مع هموم وقضايا المجتمع.

المجلة التربوية

مجلة فصلية، تخصصية، محكّمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير: أ. د. عبدالله محمد الشيخ

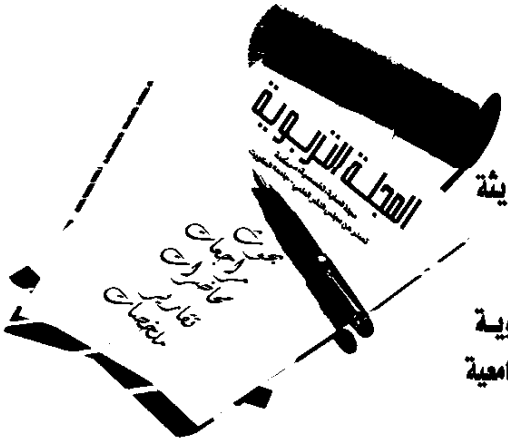

تنشر:

- البحوث التربوية المحكمة
- مراجعات الكتب التربوية الحديثة
- محاضر الحوار التربوي
- التقارير عن المؤتمرات التربوية وملخصات الرسائل الجامعية

* تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.
* تنشر لأساتذة التربية والمختصين بها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية.

الاشتراكات:

في الكويت: ثلاثة دنانير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول العربية: أربعة دنانير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول الأجنبية: خمسة عشر دولاراً للأفراد، وستون دولاراً للمؤسسات.

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير المجلة التربوية - مجلس النشر العلمي ص.ب. ١٣٤١١ كيفان - الرمز البريدي 71955
الكويت هاتف: ٢٤٨٤٦٨٤٣ (داخلي ٤٤٠٣ - ٤٤٠٩) - مباشر: ٢٤٨٤٧٩٦١ - فاكس: ٢٤٨٣٧٧٩٤
E-mail: joe@ku.edu.kw